فريد..
فنان لا يتكرر..

بقلم : محمد الموجي

كان هو المذياع الوحيد فى قريتنا .... !

إنه المذياع الذى يملكه ناظر الزراعة فى قرية « دمرو » مركز المحلة الكبرى .. وهى القرية التى ولدت فيها .. وشببت بين حقولها .. وعرفت الغناء والموسيقى من خلال الراديو الوحيد فيها .

وفى إحدى المرات ، وكان عمرى حوالى الثالثة عشرة .. التقطت أذناى أغنية من مذياع ناظر الزراعة .. كانت هى الأغنية التى عرفتنى بفريد الأطرش لأول مرة .

إنها الأغنية التى يقول فيها ..

كرهت حبك .. من كتر صدك .. وكرهت فيكى كتر الدلال ..

على ايه أحبك .. والا أودك .. مش عايز اشوفك ولا فى الخيال .

كانت تلك الأغنية من تلحين الموسيقار مدحت عاصم .. وكما هى العادة مع معظم أغانى فريد الأطرش .. فإننى أحببتها وحفظتها ورددتها من أول مرة !

ومن يومها بدأت علاقتى بفريد الأطرش !

وبالإضافة إلى الغناء والموسيقى .. كانت هناك روابط إضافية تجمعنى ، وأنا الصبى الصغير بالموسيقار والمطرب المشهور فريد الأطرش .

كنت أهوى الرسم ... إلى جانب الغناء والموسيقى .. وكان فريد وقتها موضوعاً جذاباً ومغرياً للرسامين الصحفيين .. وخصوصاً رسامى الكاريكاتير .. إننى أذكر هنا بالذات

مجلة البعكوكة التى كانت شعبية ومشهورة وقتها .

وكلما رسمت المجلة صورة فريد الأطرش على غلافها .. كنت أجد نفسى وأنا أحاول تقليد تلك الرسوم لشخصية أحبها .. ضاغطاً فى كل مرة على السمات المميزة لفريد الأطرش .. بوجهه المستطيل وحواجبه الكثيفة وتسريحته وتعبير الحزن البسيط والدائم .

ولم يكن الحزن سمة شخصية فقط بالنسبة لفريد . . ولكنه كان سمة فنية أيضاً .

كان الحزن فى صوته يخاطب شيئاً دفينًا فى داخلى . لقد كنت منعزلا وانطوائيًا بطبيعتى .... وكنت أحس أن هناك نوعاً من العشرة بينى وبين صوت فريد الأطرش .

وحتى حينما كان فريد يلحن لغيره .. كنا نجد بصماته واضحة فى اللحن والغناء أيضًا وأوضح مثل ذلك المرحومة أسمهان ، عل اللحن والغناء أيضًا . وإن أبرز مثل تعيه ذاكرتى لذلك الآن هو أغنية رجعت لك يا حبيبى بعد الغياب ... وهى التى كانت تغنيها أسمهان من ألحان فريد .. فى تلك الأغنية .. ما زلت حتى الآن أسمع بوضوح عزف فريد على العود .. وغناءه مع الكورس .. بالإضافة إلى صوت أسمهان نفسها ..

وكان فريد .. إلى جانب كونه ملحنًا ومطرباً .. أكثر من ساحر فى عزفه .. لقد كان له تكنيكه الخاص فى العزف على العود .. وكان له مستواه الخاص فى الإتقان .. من حيث إن فرقة موسيقية كاملة كان يمكن أن تضبط نفسها على عوده .

إننى أؤكد أن صورة فريد فى عزفه .. قد شدتنى تماماً فى البداية .. بحيث إننى كنت أتدرب على العزف على العود .. وصورة فريد فى مخيلتى دائماً .

ومن وقتها وفريد الفنان يفرض نفسه على دائماً ..

فعندما انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الزراعة بالمحلة الكبرى .. اختارنى مدرس التربية الزراعية .. وكان اسمه « أبو الوفا » لكى أشترك بالغناء فى أول حفل سمر يقيمه فريق الكشافة بالمدرسة .. وبمجرد أن صعدت إلى المسرح .. وجدتنى أغنى تلقائيًا

أغنية « عشك يا بلبل »

وعندما تخرجت وعملت ناظراً للزراعة .. كانت أول سهرة لى هى مع أغنية « ياللاسوا .. » فبمجرد أن بدأت سهرتنا كأصدقاء .. دخل علينا صديق ليزف لنا آخر الأنباء .. إن فريداً أذاع أغنية جديدة اسمها ياللاسوا .. وبمجرد أن بدا الصديق يردد الأغنية .. ظللنا نرددها معه جميعاً طوال السهرة ..

هكذا بدأت علاقتى بفريد الأطرش كمستمع ..

أما علاقتى به كفنان .. فلم تبدأ مبكراً .. فسنوات طويلة كانت قد مضت على اشتغالى بالفن .. قبل أن أعرف أول رأى لفريد الأطرش فيما أفعله .

كانت قد أذيعت لى فعلا ألحان قدر لها أن تنجح وتحظى بقدر لا بأس به من الشهرة . . ومنها أغنية صافينى مرة . . وبتقوللى بكره . . اللتين غناهما المطرب عبد الحليم حافظ .

وحدث فى تلك الفترة التى كانت هى مطلع الخمسينات أن سألت إحدى المجلات الفنية بعض الملحنين عن الموجة الجديدة التى بدأها كمال الطويل وأنا . .

وأذكر أن الأستاذ أحمد صدقى علق على السؤال قائلا : دول ناس باين عليهم زى ما يكونوا جايين من الصعيد الجوانى .

وقال الأستاذ محمود الشريف : ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ..

أما الأستاذ فريد الأطرش فقد أجاب بقوله .. لا أستطيع أن أقول رأيى فى كمال الطويل ومحمد الموجى الآن ... لا بد أن يستمرا فى العمل بهذا المستوى على الأقل عشر سنوات . . حتى نستطيع أن نحكم هل يمثل نجاحهما خبطة حظ . . أو يمثل طفرة فنية . .

كانت تعليقات الجميع صعبة .. ولكن تعليق الأستاذ فريد الأطرش كان أكثرها حناناً .. بل أكثرها إنعاشاً لحماسنا .. كمال الطويل .. وأنا ..

لقد كان فريد فناناً كبيراً دائماً . . طيب القلب دائماً .. فى داخله قدر كبير من حب المنافسة . . وليس فى داخله ذرة واحدة من الغيرة !

إننى أذكر أول مرة دخلت فيها بيت فريد الأطرش .. وكان قد دعانى هو – مع عدد كبير من أصدقائه وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبرغم أننا فى الجزء الأول من السهرة كنا مندمجين فى سماع أغنية « أسمع . . اسمع لما أقول لك » . . وهى التى كانت تمثل وقتها أحدث أغنيات فريد الأطرش . . فإن زوجتي – أم أمين – كانت مبهورة تماماً بوجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبينما كنا نحن مندمجين مع أغنية فريد .. كانت « أم أمين » تتحدث مع الأستاذ عبد الوهاب عن أغانيه التى تعشقها منذ الصغر .

ولكن فريداً كان يأخذ الأمر ببساطة ودعابة وفكاهة .. قائلا لأم أمين : طبعاً يا ست .. أنا حاروح فين جنب عبد الوهاب .. ناس لها بخت وناس مالهاش ..

وفى تلك الليلة عرفت من فريد الأطرش وعنه .. ما أثبتت لى الأيام بعد ذلك صدقة بدرجة مذهلة ، فبعد أن انتهت السهرة وبدأ جميع الأصدقاء الذين تتكون منهم شلة فريد الدائمة نحانى فريد جانباً ونحى من على وجهه تعبير المرح الكامل الذى كان مرتسماً طوال السهرة .. وقال لى فى جدية وحزن يقترب من الكآبة :

تعرف يا موجى .. ؟ أهو دلوقت كل دول يخرجوا يتريقوا على .. !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة بدرجة مدهشة .. ولكن كان يخفف منها أن فريداً نفسه أول من يعرف ذلك عن معظم الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أصدقائه .

وبرغم أننى كنت معجباً بفن فريد الأطرش منذ بدايتى المبكرة .. فإن الفن .. أو العلاقة الشخصية لم تجمعنا بين فترات متباعدة كنت أبادر أنا فيها إلى التعبير عن مشاعرى الدائمة نحو فريد الأطرش .. الذى كان يحقق لنفسه – ولنا – صورة مشرفة كفنانين . ربما من أجل هذا كنت قد رشحت نفسى مرة فى سنة ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ –

لا أذكر على وجه الدقة – لمنصب رئيس جمعية المؤلفين والملحنين ولكن بمجرد أن علمت أن الأستاذ فريد الأطرش ينوى أن يرشح نفسه .. ذهبت إلى الجمعية وأعلنت تنازلى على الفور .

وربما من أجل هذا أيضًا كان فريد برغم تلاقينا المتباعد يعرف على وجه التأكيد .. وبصفة دائمة .. مشاعرى نحوه .

ولقد حدث فى إحدى المرات التى كنت فيها فى لبنان أن فوجئت ذات صباح بمجلة لبنانية تبرز خبراً يعبر عن نشاطى الجديد .. وبأن على رأس هذا النشاط أن فريد الأطرش سوف يغنى من ألحانى .. بعد أن بدأت فعلا فى إعداد لحن جديد لفريد .

لم يكن للخبر أى أساس من الصحة طبعاً .. ومع ذلك فإننى فضلت فى تلك المرة أن أستنكر الخبر لفريد الأطرش بنفسى .

لقد طلبته فى التليفون وسألته عما إذا كان قد قرأ الخبر ؟ .. فأجابنى بالنفى .

وبمجرد أن شرحت له ما حدث .. وقبل أن أعلن له أنه لا أساس للخبر على الإطلاق فوجئت بفريد يقاطعنى ضاحكاً وهو يقول .. يا ريت .. والله يا محمد وحياة أمى أقولها لك من كل قلبى يا ريت وأنا مستعد أغنى من ألحانك فوراً .

كان فريد فناناً بسيطاً وكان فريد أيضًا إنساناً بسيطاً ..

فقبل وفاته بأشهر قليلة كان أحد المنتجين السينمائيين قد استدعانى إلى بيروت للانتهاء من تلحين أغنية للفنانة صباح .. ولأن الانتهاء من تنفيذ اللحن لا يستغرق فى العادة أكثر من أسبوع .. فقد اتفق المنتج مع الفندق فعلا على تغطية مصروفاتى لمدة أسبوع .

ولكنى لسبب أو لآخر لا شأن لى به .. ، امتدت مدة تنفيذ وتسجيل الأغنية إلى خمسة عشر يوماً ..

وفوجئت صباح يوم سفرى بمصروفات إضافية ضخمة يجب أن أدفعها .

وتحيرت ماذا أفعل .. فلم يكن قد بقى معى ولا ليرة واحدة .

ووجدت نفسى أرفع سماعة التليفون وأطلب فريد الأطرش .

إننى لم أفكر فى أن أطلب المنتج .. ولا حتى فى أن أطلب الفنانة صباح .. ولكننى بدلا من ذلك وجدت نفسى أطلب فريد .. وأقص عليه ما حدث .

وفى خلال عشر دقائق كان فريد قد أرسل إلى سكرتيرته حاملة إلى مبلغاً هو ضعف المبلغ الذى يجب على أن أدفعه .

وعدت إلى القاهرة عارضاً على فريد رد المبلغ فى أول مرة رأيته فيها .. ولكنه رفض بإصرار وبعد وفاته اخبرت المحيطين بفريد الأطرش بالقصة وبرغبتى فى تسديد المبلغ ولكنهم رفضوا أيضاً قائلين : ما دامت تلك رغبة فريد فهى رغبتنا أيضاً . .

وفى مرة أخرى تكررت نفس القصة ولكن مع فرقة موسيقية بأكملها ..

كانت الفرقة الماسية تحيى بعض الحفلات فى « دبى » وفى طريق عودة أعضاء الفرقة وكان عددهم حوالى الثلاثين من دبى إلى القاهرة توقفت بهم الطائرة فى بيروت وأصبح عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى من بيروت إلى القاهرة .

وكانت أول طائرة إلى القاهرة هى فى اليوم التالى ..

واحتار أفراد الفرقة .. ووقعوا فى مشكلة .. لأنهم لم يكونوا يحتفظون بأية نقود فى عودتهم وأصبح عليهم فجأة أن يقضوا فى بيروت ليلة على نفقتهم الخاصة .

وتجمع أفراد الفرقة فى فندق بريستول ليتدبروا ماذا يفعلون . وبينما هم يتشاورون إذا بفريد الاطرش يراهم صدفة فى أثناء خروجه من الفندق وبمجرد أن علم بالمشكلة أصر على أن ينزل الجميع فى فندق بريستول على نفقته الخاصة .

وفى تلك الليلة نفسها .. فوجئ أعضاء الفرقة أيضاً بأن فريد قد أعد لهم مأدبة ضخمة . تكفى لمائة فرد لا لثلاثين فى مطعم اليلدزلار المشهور .

كان هذا هو فريد الإنسان ..

وكان فريد الفنان هو بنفس القدر من البساطة والوضوح ..

لقد وجدت نفسى فى مطلع حياتى متأثراً للغاية بفريد الأطرش .. إلى درجة أننى بعدوى حزنه على وفاة أخته المرحومة أسمهان أتمنى لو كنت أنا قد لحنت لها ...

وفريد الأطرش بدأ حياته الفنية بالعمل مع بديعة مصابنى .. وشاءت الصدف بعد ذلك أن أبدأ أنا الآخر حياتى الفنية بالعمل مع صفية حلمى .. وهى التى كانت التلميذة الأولى لبديعة مصابنى .

وعندما بدأت أحصل على أول أجر لى فى كازينو كوبانا الذى كانت تملكه صفية حلمى .. كان الأجر هو مجرد عشرة قروش فى الليلة ولكن الأمر كله هان على لأن فريداً بدأ حياته عند بديعة بأجر أقل من ذلك الذى أبدأ به أنا عند صفية فى سنة ١٩٤٩ .

إن الفنان لا بد أن يعطى أولا ويعطى الكثير – قبل أن يأخذ .

والفنان لا بد أن يعيش الحياة فى أكثر نقطها انخفاضاً .. قبل أن يجرب الحياة بعد ذلك .. عند أكثر نقطها ارتفاعاً ..

والفنان لا يمكن أن يكون أبداً « خلفة شيطانى » إن جذوره يجب أن تمتد فى الأرض فإذا أراد لفنه بعد ذلك أن يعبر عن الناس فلا بد أولا أن يخرج من الناس ..

ولقد استطاع فريد أن يخرج من الناس لكى يعبر بعد ذلك عنهم .. بل إننى أعتقد أن فريداً لم يحصل فى حياته على فرصته الكاملة فى التعبير عن الناس . . ولو تحققت تلك الفرصة فى حياته لكانت النتيجة بعد ذلك مدهشة .

ذلك لأن فريداً الأطرش كان أحسن من يصلح للمسرح الغنائى .

إننى شخصياً أعتقد أن الكازينو الذى أقامه فريد الأطرش فى بيروت وانتقده فى ذلك كثيرون .. كان المقصود به أن يكون مسرحاً استعراضياً .. ولكنه أخطأ الطريق فى نقطة ما .. بحيث استقر عند كونه مجرد ملهى ليلى .

لقد كان فريد بطبيعته فناناً مسرحياً ..

إنه مبدئياً يعتبر واحداً من أحسن الذين قدموا ألحاناً استعراضية للمسرح الغنائى . . إن دليلى الواضح فى ذلك هو ألحانه الاستعراضية التى قدمها فى أفلامه السينمائية ، ولو ضربت مثلا واحداً على ذلك فسوف اختار استعراض « بساط الريح » .. الذى لا يتجاوز مدته ربع الساعة أو ربما عشر دقائق فى تلك الدقائق العشر جمع فريد كل فنون المنطقة العربية تقريباً .

إن هذا الاستعراض نفسه يحمل بذرة المسرحية الاستعراضية الغنائية الكاملة .. وبالإضافة إلى ذلك فإن فريد كان يملك « النفس الطويل » الذى يعتبر شرطاً جوهرياً للنجاح فى المسرح الغنائى إنه كان من الفنانين القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات متواصلة .

كان فريد يمتلك النفس الطويل مسرحياً ... وكان يمتلك الحضور المسرحى .. والجرأة الضرورية لكل فنان يواجه الجمهور من فوق مسرح ... وكان يمتلك حتى « الوقفة المسرحية » إن من يلاحظ الاستعراضات الغنائية التى قدمها فريد فى السينما يلاحظ مدى قدرته على إقناع المتفرج بأنه يغنى من فوق مسرح محتشد بالجمهور .. وليس من داخل بلاتوه يخلو تماماً من الجمهور ..

إن من يرى كل هذا ويجمعه معاً .. يحصل فى النهاية على نموذج كامل لفنان اختار منذ مولده أن يكون فناناً مسرحياً ... ومع ذلك فإن هذا لم يحدث فى حالة فريد الأطرش بغير سبب واحد مفهوم ندريه أو نعلمه .

وكان فريد نموذجاً فريداً حقًّا للفنان الذى يعطيه فنه قوة إضافية مدهشة .. إن فريداً المطرب والملحن استطاع أن يهز فاروق الملك والسلطان بأغنية واحدة اسمها نورا نورا .. يا نورا . وإلى جانب أن هذه كانت غالباً ميزة مضافة وكبيرة فى فن فريد الأطرش فإنها كانت فى بعض الأحيان ميزة مخصومة منه .

فلقد ترتب على اندماج فريد العاطفى فى فنه حتى النهاية . . أن أضفى على أغانيه

طابعا حزينا مميزا .

لقد كان هذا أمراً غريباً ومحيراً فى الوقت نفسه . ففريد ، كفنان وإنسان كان يتذكر ماضيه بحب .. وفى الوقت نفسه كان يعيش حاضره بابتهاج ومرح وتفاؤل وحب ، ولكن عندما كان الأمر يصل إلى المستقبل فإن هذا الإنسان البسيط المرح . . كان يتحول إلى إنسان آخر يخلو من البساطة أو التفاؤل والمرح .

ما هو السبب بالضبط ؟

لا أعرف .

إن فريد الأطرش الفنان كان متميزاً من نواح كثيرة على المستوى الإنسانى .. وعلى المستوى الفنى فإننى أعتقد أن قيمة فريد كمطرب تأتى فى الدرجة الأولى قبل قيمته كملحن .

لقد كان صوت فريد الأطرش بارزاً ومتميزاً فى الغناء العربى خلال كل العصر الذى عاشه هو وعشناه نحن معه . إن فريد كان واحداً من أربعة غنوا بالموهبة نفسها . . أربعة أعتقد أنا أنهم أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ .

إننى أعتقد أن فريداً كان يرى موهبته الصوتية من الزاوية التى أراها أنا بها هنا .. بدليل أنه لم يمانع أبداً بلى رحب فى كثير من الأحيان بأن يغنى بصوته من ألحان غيره ... ولو كان هذا قد حدث فأعتقد أن الملحنين الآخرين كانوا سيبرزون جوانب أخرى ممتعة فى صوت فريد الأطرش قد لا يكون هو قد تنبه لها .. أو ربما يكون التفسير موجوداً بشكل آخر .. فربما لم يجد فريد مثلا من يستثمر صوته أحسن منه .. فقرر أن يركز على استثماره ..

ولكن حتى مع وجود هذا التفسير فإننى ما زلت أكرر اعتقادى بأن استسلام فريد المطرب لفريد الملحن لفريد الإنسان .. جعل معظم أغانيه تخرج فى النهاية حزينة بالشكل الذى لمسناه جميعاً ، وحتى فى الحالات القليلة التى كان فريد يؤدى فيها ألحاناً

هى بطبيعتها تعبير عن مواقف مرحة وموسيقى مرحة فإنه كان يؤديها أيضا بصوت فيه من الحزن الدفين قدر كبير .

إن أقرب مثل أتذكره لذلك هو أغنية « دقوا المزاهر ياللا . . » فى تلك الأغنية لا يستطيع إنسان أن ينقل الحزن المكتوم فى صوت فريد حتى فى موقف غير حزين .

هل كان السبب هو وجود شرخ عاطفى عميق فى نفس فريد الأطرش ؟

هل كان السبب هو حزنه العميق على وفاة أخته أسمهان ؟

هل كان السبب هو إحساسه بأن كل العواطف التى يراها امامه وحولها مزيفة وكاذبة ؟

إن فريداً الأطرش كان فناناً صادقاً .. وإنساناً صادقاً .. وسط إطار يخلو منه الصدق تماماً ، بل يملؤه الكذب تماماً .

إننى لم أر إنساناً طيباً ومخلصاً وصادقاً فى مشاعره بمثل ما رأيت فريداً الأطرش .. كان فريد صادقاً للغاية حتى فى الطريقة التى يصافح بها أو يقبل بها صديقاً له .. إن اليد الممتدة .. والكلمة المرحبة والابتسامة الصافية .. كلها تؤكد أن صاحبها لا يفتعل شيئاً ليس فيه . . ولا يرتدى قناعاً على عواطف يخلو منها . . ولا يرسم على وجهه ترحيباً لا يحس هو به .

ربما من أجل هذا لم يكن فريد الأطرش ناجحاً كممثل . إن التمثيل لم يكن من طبعه .. وبالإضافة إلى ذلك فإن التمثيل كان يتنافى أصلا مع طبيعة شخصيته .

والذين شاهدوا أفلام فريد الأطرش ، وهى عموماً كانت أفلاماً ناجحة جدًّا من الناحية التجارية ، فإنه كان يشاهدها سعيًا وراء صوت وموسيقى فريد الأطرش ، وليس سعيًا وراء تمثيله .. بل إننى أقول .. بالرغم من تمثيله !

ولم يكن فريد وحده فى ذلك .. محمد عبد الوهاب نفسه حدثت له التجربة نفسها فى السينما . أنا أيضًا حاولت مرة أو مرتين . ولكن فريداً استمر فى السينما مدة أطول لأن الممارسة تؤدى إلى مزيد من الممارسة .

ومع كل فيلم جديد لفريد .. كان الإنسان يحس أن النجاح هو أولا نجاح فنى قبل أن يكون نجاحاً تمثيلياً .. وكان يشفع لفريد فى ذلك أن المتفرج كان يحس فى كل مرة أنه أمام فنان حقيقى وصادق « تورط » فى أن يكون ممثلا .. أو أصبح ممثلا بحكم الضرورة ، وليس بحكم الهواية والقدرة !

لقد طغى صوت فريد الأطرش وموسيقاه على أى جانب آخر فى فنه . وليس صدفة أبداً أن تظل أغنية « الربيع » هى الأغنية الأولى المعبرة فعلا عن الربيع طوال أكثر من خمس وعشرين سنة ! ففى تلك الأغنية يستطيع الإنسان أن يشم فعلا رائحة الورد والنسيم والربيع منذ أول دقيقة ! لقد اعتدنا جميعاً أن يكون هذا اللحن هو أول جزء أساسى من استقبالنا للربيع فى كل سنة . وطوال تلك الفترة ، وهى طويلة فعلا ، لم يستطع أى فنان آخر أن يقدم بديلا يتفوق على تلك الأغنية . أو يقترب من تأثيرها .

إن ما سوف يبقى من فريد الفنان هو الشىء الكثير جداً . يكفى أن نسرب هنا نماذج بأبرز الأعمال الغنائية التى قدمها لنا على امتداد سنوات طويلة .. وعلى رأسها مثلا : حبيب العمر .. أول همسة .. الربيع .. حكاية غرامى .. إلخ .

إن فريد الأطرش يمكن تلخيص حكايته كلها فى أغنية واحدة منها هى أغنية أغنية « حكاية غرامى » .. لأنها كانت تمثل فعلا حكايته الشخصية . إنها لم تمثل حكايته مع امرأة محددة . أو حالة واحدة . ولكنها مثلت حكايته مع كل امرأة .. ومع المرأة بصفة عامة .. بحيث كان يجب أن يسميها « حكاية حكايتى » مثلا .. وليس « حكاية غرامى » !

ولقد أثر فريد الأطرش بموسيقاه فى كثيرين من الذين عاصروه .. بشكل أكبر جداً من تأثره هو بالذين عاصروه !

وكان فريد فى موسيقاه صورة صادقة لفريد فى عواطفه . وحتى فى الحالات التى كان فريد يلحن فيها لغيره .. فإنه لم يكن يبخل مطلقاً فى تدفق عواطفه هو على اللحن

الذى يقدمه . ذلك لأن فريداً كان رمزاً للفنان الذى يعمل من أجل الفن .. وليس من أجل دوافع أكثر عملية من ذلك !

إن أصدق صورة لذلك .. كانت هى صورة فريد حينما يعزف على عوده مع الفرقة الموسيقية فى أية أغنية يقدمها .

فمن الناحية الشكلية كان الإنسان يحس أن فريداً حنون على الفرقة الموسيقية بأكملها .. وأنه يتعامل معها موسيقيًّا وفنيًّا باعتبارها جزءاً أساسيًّا منه ، وليس جزءاً خارجاً عنه .. هذا بالرغم من أن فريداً كانت له قيمته الخاصة ، وربما الكافية ، كعازف على العود .

وحينما كان فريد يعزف على العود . فإنه كان نموذجًا للفنان من ناحية .. ونموذجًا للفنان الذى يعطى صورة مشرفة للموسيقى الشرقية من ناحية أخرى .

لقد كان فريد واحداً من أبرز الذين أحبوا الموسيقى الشرقية وحافظوا عليها .. وعملوا على تحقيق التطور من خلالها . إن مسألة الخروج بموسيقانا إلى العالم قد شغلته طبعاً .. ولكنه كان مؤمناً بأن خروجنا بالموسيقى إلى العالم لا يجب أن يكون على حساب تمسكنا بطابعنا الشرقى الخاص المتميز .. إنه كان يردد أننا لو خرجنا إلى العالم ، حتى ولو بـ « طقطوقة » .. أو أغنية صغيرة .. فإن هذا يصلح كبداية صادقة وناجحة .

وفريد الأطرش لم يكن أبداً ضد تطوير الموسيقى الشرقية . . وهو لم يكن أيضاً ضد إدخال بعض الآلات الغربية فى الموسيقى الشرقية .. ولكن المسألة كلها أنه كان يرى أننا لا بد أن نوظف الآلة الغربية فى موسيقانا بشكل يخدمنا نحن قبل أن يخدم الآلة نفسها .

ولقد كان فريد الأطرش نفسه أول من حقق ذلك على مستوى عظيم مشرف للفن والفنانين . والواقع أن فريداً الأطرش كان فناناً لا يتكرر .

محمد الموجى